

الشاويش بركات

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

العدد السادس والعشرون

ديسمبر ٢٠١٨

الشاويش بركات

إسحق إسكندر

الـــــســلـســـلـة: ملء الجباب

الــــــــكتاب: الشاويش بركات

الــــــــكاتب: إسحق إسكندر

كمبــيــــــوتر: Pateer Center

تصميم الغلاف: Pateer Center

مطبـــــــــعة: أوتو برنت

إيــــــداع رقم: ٨٢١٤ - ٢٠١٨ بدار الكتب

ترقيــم دولـــي: 978-977-90-5424-7

فهرس

سلسلة ملء الجباب

صدر منها

١- ملء الجباب (طبعة ثانية)
٢- تكفيك نعمتي (نفذ)
لماذا أنا بالذات؟ (نفذ)
٣- كرسى المسيح (نفذ)
٤- حبيب الرب (طبعة ثانية)
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
ظل الموت
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠-ميمى بك
١١-مجاهد فى الجبانة
١٢-رئيس الخلاص
١٣-وأنت تبقى (طبعة ثانية)
١٤-لنا شفيع (طبعة ثانية)
١٥-محطة الأتوبيس
حجرة الفئران
١٦-رائد وسلطان
١٧-لا تهتموا بشئ (طبعة ثانية)
١٨-الاختيار الأزلى
١٩- حقوق المسيح ج ١
٢٠- حقوق المسيح ج ٢
٢١-حقوق المسيح ج ٣
٢٢- حتى الموت
٢٣-الورقة الأخيرة
٢٤-سر الله
٢٥-حتميات لاهوتية ج ١

✤ Upon Shiggaion
✤ The Shadow of Death
✤ The Brass Serpent

تقديم

مع كل التقدير لرجال الشرطة البواســـل، تجئ هذه الأحداث الخيالية كاشفة عن بعض – ولـــيــس كل – تضحيــاتهم.. وتحمّلـــهم جحود البعض، وتطاولهم.. وصولاً للشتائم واللعنات فى بعض الأحيان.. بل والإســتشهاد فى أحيان أخرى.

فإن ظهرت بعض المشاعر الإنســانيــة الإيجابية، أو الســلبية، لدى "**الــشاويش بركات**"، فهذا لا يقلل من مجهوداتهم، أو ينتقص منها.. فهو إنسان فى نهاية الأمر.

وما كَشْف هذه المشاعر، فى هذا الكتيـــب، إلا لتوضيح الغرض من كتابته – وهو غرض روحى فى الأســـاس – لتوضيح مشاعر من يخدم – لا فى مجال الشرطة.. بل – فى المجال الروحى، على ذات القياس.

تمهيد

حدثنى بعض الأحباء عن صعوبة وجدوها فى موضوعات بعض الأعداد السابقة، كالاختيار الأزلى، وحقوق المسيح، وحتميات لاهوتية.. وما إلى ذلك.. وكان سؤالهم: لماذا أكتب فى مثل هذه الموضوعات؟

وكانت إجابتى: أنها كانت، بالنسبة لى - فى يوم ما - صعبة.. وإذ استوضحتها - بمعونة الرب - كان لزاماً علىَّ أن لا أُوخر أو أمنع شيئاً منها، لأعلنه (أع ٢٠:٢٠،٢٧).. مبسّطاً إياه قدر الإمكان.. وما لا يُدرك - الآن - كله، لا يُترك جلُّه.

ومع هذا، ونزولاً على رغبة البعض، يصدر هذا العدد، وهو سهل وبسيط.. ومسوداته عندى منذ فترة طويلة.. وقد كان معداً من الأساس لإخراجه دراميأً، وإذاعته فى أحد برامج القنوات الفضائية المسيحية.. ولسبب إدارى خاص بتلك القناة، أُلغى البرنامج كله.

ولعل نشره فى هذا التوقيت، يشفع لى، لدى القارئ الذى وجد صعوبة من قبل.. ويكون تعويضاً له عن المجهود الذهنى الذى صاحب قراءته.. لبعض الأعداد السابقة.

راجياً من الرب، ومصلياً، أن يكون سبب بركة.. لاسيما لصغار النفوس، من المؤمنين - عامة - ومن الخدام - خاصة.

مقدمة

كان الجالس إلى جوارى فى مقعد الطائرة، شخصاً غير مسـيحى.. تـحدثت معه عن الرب يسوع كالمخلص.. وقبل أن تصل الرحلة الى نهايتها، كان هذا الشخص، قد صار مسيحياً حقيقياً.

هكذا كان يحدثنى خادم زميل (راحل).

وآخر كان يـقول أن الرب قد تمجّد فى زيـارته لبلدة (....) حيث تحوّل ٦٣ مسيحياً بالاسم، إلى مسيحيين حقيقيين نتيجة خدمته.

وغيره يحطم هذا الرقم، ليصل به الى المئات.

أمـا أحد الخدام المشاهير، فقد حطم كل الأرقام، عندما أعلن أن هناك ثلاثة ملايـين نفس قد رجعت إلى الرب – **فى أفريقيا** – نتيجة خدمته.. بينما هو أصلاً من قارة أخرى!!

وكلما اسـتمع كاتب هذه السطور إلى مثل هذه الأحاديث – مفترضاً صحتها – اعتراه إحساس **بصغر النفس** (١تس٥ : ١٤).

فقد ركب **الطائرة** – حتى يومنا هذا – عشرات – إن لم يكن مئات – المرات.. ولا يذكر أنه نجح – إن كان قد حاول أصلاً – فيما نجح فيه زميله، مع ركاب الطائرات.. ولو كانت محاولاته هى مع مسحيين إسماً، أباً عن جد.

كما أنه وُلد.. وعاش.. وربما – إن تأنى الرب – يـرقد.. ويدفن فى **أفريـقيـا**.. ولم يحلم يوماً أن يحوز ولو على نتفة يسـيرة من هذه الملايين

الأفريقية، لتكون من أولاده فى الإيمان.

حتى إنه عندما طلـبت منه إحدى الأخوات الـفاضلات، فى "سـان ديـاجو"، عام ٢٠٠٩، أن يـقص عليها اختباراً مجيداً، عن خدمته وأثمارها، ارتـبك، قبل أن يخبرها بالحقيقة، وهى أنه لا يبحث ولا يفتش عن هذه الثمار، أو يـحصيها.. ولا يتذكر أن له أعمالاً **شخصية** فى خدمته، يصنِّفها على أنها مجيدة.. إنما الخدمة فى جوهرها **العام** هى "خدمة مجد" (٢كو٣: ٨،٩،١١).

وإذا كان هناك اختبار مجيد فى حياته - وهو اختبار وحيد ومستمر- فـهو عجزه فى ذاته، وخلو جعبته مما تبحثين عنه.. وفى المقابل، كفاية الرب له، لعلاج ضعفه، بقوة قيامته.. وملء جعبته بغنى نعمته.. هكذا كان يحدثها.

وأضاف، أن لـه (وقتها) أربعيـن عاماً، متفرغاً للخدمة - شفاهة، وكتابة.. تجوالا ومحلياً - وعندما تجاسر يوماً، وفكَّر أن يحصى عدد النفوس التى استفادت من خدمته، خلال هذه المدة.. سـواء برجوعهم عن خطاياهم - إن كـانوا بعيدين- أو بتثبيتهم فى الإيمان - إن كانوا مؤمنين- وهل وصل هذا الرقم الى أربعيـن شخصاً.. بمعدل واحد كل عام، أم لا ؟.. أعياه تفكيره، ولم يعرف.. وذلك قبل أن يلوم نفسه على مجرد تسرب هذا الفكر إليه.

وقال لها، أنه سيكون سعيداً، بعد أن يصل الى المجد، ويعرف عددهم كثيـراً كان أم قليلاً - ليكون هذا - **بصفه كلية** - فَرَحَه وإكليل افتخاره، أمام ربنا يسوع المسيح فى مجيئه (١ تس٢: ١٩).

أما الآن - **فبصفة جزئيـة** - يشارك السـماء فرحها بخاطئ واحد يتوب (لو١٥: ٧).. سواء كان نتيجة كرازته، أم كرازة غيره.

مؤكداً لها أن المجد الذى يـختبره - الآن - فى حياته، ليس فى فيما

يـفعله هو فى خدمته، أو ما يقوم به من أعمال، أو مايراه هو من ثمار لتعبه.. **بل فى إدراكه أن الرب يـــقبله على ماهو عليه..** ويقوده فى خدمته رغم ذلك طبقاً لـــلـــبرنامج المحدد له.. دون اعتبار لكميـــة الثمر.. فإن ضعف، أعان ضـــعفه، بقوته.. وإن قصَّر، عالج تقصيره، بنعمته.. وإن صغرت نفسه يوماً، شجع نفســـه الصغيـــرة بكلمة (أش ٥٠: ٤).. وإن فرغت جعبته، أشبع قلبه المشتاق، بملء كفايته.. ألا يكفى أن يكون هذا – فى حد ذاته – مجداً؟

وكانت كلـــمات خادم الـــرب الفاضل "**تشارلس ماكيـــنتوش**" – فى تفسيره لسفر الخروج – سبب تعزية له، يوم أن قرأها:

[إن الإنسـان الـذى يقدم المسـيح لـلآخرين، ينبغى أولاً أن يـكون مشغولاً بالمسيح.

وطوبـى لـلإنسـان الـذى يخـدم بهذه الـصفة، مهما كان نجاحه أو قبول خدمته فى نظر الناس.

أذ أنه أمام الـرب، نصيبـه وغرض قلبـه، لاخوف من شئ.. حتى إذا لم تؤثر خدماته فى الـناس، ولم تسـترع الأسمـاع، ولم تخلـب الألـباب، ولا أنتجت نتائج ظاهـرة.. لأن هذا لا يحرمه من المسيح نفسه، وكفاه هذا]

وهو نفس الفكر الذى قرأه كاتب هذه الســطور، للدكتور "**طه حسين**" إذ كتب : [أوثر رضا الـعلـم ورضا الـضمير، علـى رضا الـناس وإعجابهم وتصفيقهم]

وهـــو نفس ما أجاب به الرئيس "**عبد الفتاح السيسى**"، على المخرجة "**ساندرا نشأت**" فى ٢٠١٨/٣/٢٠ عندما سألته:

– تحب **سيرتك** تبقى إزاى؟.. فأجاب:

- عند ربنا.
- **ومدح** الناس.
- **الأهم، رب الناس.**

وهذا يأخذنا إلى أقوال الرســول بولس: "فَإِنَّ **ســيرَتَنَا** نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ" (فى٣: ٢٠).. و"لَيْسَ مَنْ **مَدَحَ** نَفْسَــهُ هُوَ الْمُزَكَّى، بَلْ مَنْ **يَمْدَحُهُ** الرَّبُّ" (٢كو١٠: ١٨).

إلا أن مـا عالج - ويعالج - كاتبنا، بالدرجة الأولى، مما ينتابه أحياناً من شعور بصغر النفس، هو ماكان يســتشفه من حكايات صديقه "**الشاويش بركات**" التى كان يقصها عليه ، فى سهراتهما معاً.

فقد كان "الشاويش" أحياناً يهوى (يســقط) من قمة الزهو، الى درك الــيأس.. لولا تشجيعات "**رئيفة**" زوجته له.. الأمر الذى حدا بالكاتب، أن ينقل للقارئ العزيـــز هذه الحكايات، مع الاعتذار، إن جاءت بنفس لغة "الشاويش" العامية، لأنها معبّرة.. وبنفس أمثالها الشعبية، لأنها مؤثِّرة.

فى إدارة المطافئ

اتصال تليفونى تم بمكتب الضابط المسـئول، فى مركز **الإطفاء الرئيسى** (المطافئ)؛ حريق كبير شب فى بناية عالية.. عنوانها كذا....

وإن كـان يتم استدعاء رجال الإطفاء من المراكز **الفرعية** كل فترة طويلة نسبياً، إلا أن التليفونات لا تنقطع يومياً عن المركز الرئيسى حيث يعمل "**الشاويش بركات**".

لذلك لم تكن تمر "ورديّـة" له، دون أن يـُسـتدعى للمشاركة فى إطفاء حريق، شبّ هنا.. أو إنقاذ ضحايا، من منزل ينهار هناك.

وفى حالة نشوب حريـق ، تنطلق سـارينة الإنذار داخل المركز، برنين مسـتمر وطويـل.. يـتدافع الجنود كلٌ إلى موقعه.. السـائق، إلى عجلة القيادة.. والجندى مسـئول الخراطيم، إلى جوارها فى العربة.. ومسـئول المياه، إلى عربة الفنطاس.. ومسئول الطلمبات إلى.. وهكذا....

انطلقت عربة وإثنتيـن، أو أكثر مع كل ملحقاتها، وصارت فى لحظات، على أهبة الاستعداد.

يـدخل "الشاويش بركات" إلى مكتب القائد، ليتسـلم منه "أمر الشغل" مع العنوان.

يـدلف الى كرسيـه أعلى العربة.. بزيه المميز.. حُلَّة الأطفاء المقاومة للنيران.. والخوذة النحاسية فوق رأسه.

يــتحرك الرتل من المركز.. جرس العربة يرنُّ.. سارينة العربة لا ينقطع صوتها.. المارة يــفســحون الطريــق.. بيـــنما تخطف أنظارهم لمعات الخوذات النحاسية.

تنطلق العربة فى الشارع، وينطلق معها الشاويش بركات" إلى آفاق علا.

الســيـــارة تنهب الأرض.. و" الشاويش" ينهب الفضاء، فى صاروخ من تخيُّلاته.

مستويا على كرسيه فى **زهو غالب**، يرتجف قلبه فى **قلق واصب**[1].

أنفه فى السماء، **معتزاً بخدماته**.. وقلبه فى قدميه، **متوقعاً الخسائر**.

يتمنى - **فى فرح** - لو طارت العربة فى الهواء، لإدراك الخطب الفادح، قبل اســـتفحاله.. للقيام بدوره الجليل.. ويدعو الله - **فى خوف** - أن تأتى العواقب سليمة.

تصل العربة الى الموقع.. يـــنزل الجنود .. تبدأ العملية.. كل يقوم بدوره المرســوم، تحت إشراف الضباط.. تتدافع الميـــاه من " البشابير"، للتعامل بقوة مع النيران.

يـــتحلق الجمهور حول الموقع.. يتطلعون بانبهار للســلم الأعجوبة، الذى يرتفع تلقائياً، حاملاً " الشاويش بركات".

يرتفع الســـلم، فيزداد زهو " الشاويش".. يرى النيران، فيزداد **قلقه**.. "فلا حلاوة بغير نار".

---

(١) راجع ملحق رقم ١

يقتحم سحب الدخان.. يدلف بخفة من أحد النوافذ.. العيون شاخصة إليه.. يــغيب وقتاً.. ليظهر من خلال الدخان، حاملاً فتاة فى حالة اختناق.. يصل بها الى أرض الأمان.. ليجد بين الهابطين على سلم العمارة، رهطاً ينعون اختفاء إبنة لهم.. يــفاجئهم بها "الشاويـــش".. يحتضنه الأب.. وتحتضنها الأم، داعية لـ "الشاويش" بِستر "الولايا".. وطول البقاء.

يــعاود الكرّة مرة ومرات.. ناجحاً فى إنقاذ نفس.. أو تحطيـــم باب.. أو إخراج محاصر.

تــصل كلمات الثناء إلى حناجر الجمهور.. تتوقف عند أفواههم المفتوحة.. مبهوريـــن لا يســتطيعون التعبير.. فالرتم ســريع.. والأحداث تتداعى.. واللحظة تساوى حياة.. ولا وقت، حتى للهمس.

تنتهى الــمهمة.. فيــكســر الــبعض حاجز الصمت، ويــهتفون بحيـــاة "الــشاويش"، والشرطة.. وبينما يستكمل الضباط الإجراءات، يتكالب الجمهور على الشاويـــش.. هذا يــحتضنه.. وهذه تدعو له.. وتلك تحاول تقبيل يده.. إنها أم الفتاة المنتشلة من النار.. وهكذا.

الأجـــراس ترن.. والسيارة تتحرك عائدة.. والكل يفسح لها الطريق، ممتناً وشاكراً وشاهداً لـ "الشاويش" بالبطولة والتضحية وحســـن الأداء.. وشيخ يدعو له: "ألا بارك الله فيك يا رمز العطاء".

وفـــى السيارة ينطلق "الشاويش"، عائداً.. وفى صاروخه ينطلق، صاعداً.. بزهو وتيـــه.. بلا قلـــق داهم، كما فى رحلة الذهاب.. ولاخوف واجف، فهى رحلة الإياب.

تتوقف السـيارة فى المركز.. ولايتوقف الصاروخ عن الارتفاع.. يغادر "الشاويش" المركز.. يترجل **بقدميه**، إلى المنزل.. ويسبح بلا **قدمين**، فى الأعالى.

زوجته تسـأله عن الأحوال.. يرد باقتضاب.. لا يريد لها أن تخرجه من صاروخ الانتشـاء.. مازالـت أصوات الـجمهور الـمسبح بحمده، تعمل كوقود لصاروخه.. ولايزال إفسـاح الجمهور طريق سيارته، يفسح طريق صاروخه إلى العلا.

ستكرمه الوزارة كالعادة.. وسيسلمه "مأمور المركز" المكافأة فى المكتب.. لكن فى صاروخه، يرى رئيس الجمهورية نفسـه، هو من يسلمه نوط الواجب، فى السـراى الجمهورى.. وكيـف لا؟.. فلولاه لهلك من هلك.. واحترق من احترق.. واندكّ من اندك .. وبشهادة الجميع.

وهكذا دوالـيـك، طُبع "الشاوش بركات".. وتبرمج – محققاً ذاته – على أنـه: **رجل النجدة الخفيف**، ومخلص الهالكين السريع.. **صاحب الباع الوطيد**، و**منقذ المنكوبين الأكيد**.. بلا انتظار **جزاء**، ولا توقُّع **شكور**.

****

هكذا **الخادم**.. أيـا كان – متفرغاً للخدمة، أم غير متفرغ – هو **جندى**.. ليسوع المسـيح (٢تى٢: ٣).. شأن أى "شاويش، مذكور هنا، أو غير مذكور.. وذلك فى جنديته وعسـكريته **الروحية**.. أما فى أمانته، فهو جندى "**صالح**" (الشاهد السـابق) – أو المفروض أن يكون – ذلك لأنك تجد من الجند من كان **خائفاً الله**.. مثل "كرنيـليـوس" قائد المائة (أع ١٠ : ٢)(٢).. ومن كانوا فى حاجة الى كلمات المعمدان لهم: "لاَ تَظْلِمُوا أَحداً وَلاَ تَشُوا بِأَحَدٍ وَاكْتَفُوا بِعَلاَئِفِكُمْ." (لو ٣ : ١٤).

فالمؤمن جندى.. ومن الواجب أن يكون جندياً صالحاً.. ومبدئياً هو جندى فيما يشبه إدارة الإطفاء.. ولكن السماوية.. كيف؟

يكتب يهوذا أخو يعقوب فى رسالته (ع٢٣): " **وَخَلِّصُوا الْبَعْضَ.... مُخْتَطِفِينَ مِنَ النَّارِ**".. أية نار هذه؟

إنها "**بُحَيْرَةِ النَّارِ**" (رؤ٢٠ : ١٤) .. "**النَّارِ الأَبَدِيَّةِ**" (مت ٢٥ : ٤١).. "**الْوَقَائِدَ الأَبَدِيَّةِ**" (إش٣٣ : ١٤).. حيث "**دُودَهُمْ لاَ يَمُوتُ وَنَارَهُمْ لاَ تُطْفَأُ**" (إش ٦٦ : ٢٤، مر٩ : ٤٤).

وكيف يكون الخلاص؟.. يقول الرسول بولس، ومعه سيلا، لسجان فيلبى: "**آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ**" (أع١٦ : ٣١).. وقد سبقهما الرب، فى كرازته، بمثل هذه العبارات.. إذ قال: "**اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ**" (يو ٥: ٢٤).

من هنا كان الخادم الذى يقدم المسيح للمهددين بتلك النيران الأبدية، حتى يخلصوا، إنما يشبه جندياً فى إدارة المطافئ ، مثل " الشاويش بركات ".

وهذا ما كان منذ بداية الكرازة.. فقد قدم رسل المسيح وأنبياؤه إنجيل الخلاص، بالإيمان بالرب يسوع، وبعمله الكفارى على الصليب.. وحتى يومنا هذا مازال المبشرون والخدام يقدمون هذا الإنجيل.. وفى تقديمهم له، يستخدم الروح القدس كلماتهم.. ويعمل فى قلوب السامعين.. فيقبلون الكلمة (أع١١ : ١).. ويخلصون من الدينونة الأبدية، ونيرانها.

وإن كان " الشاويش بركات" يعتريه بعض القلق، أثناء ذهابه لتأديه مهمته - فالمهمة خطيرة، والأرواح ثمينة - إلا أن الخادم أثناء تقديمه الإنجيل، لايعتريه

هذا القلق بالطبع.. إنما يعتريه الخوف الممتزج بالدموع.

فالخوف.. أولاً: على مستقبل هؤلاء الذين تهددهم هذه النيران الأبدية.. إذ يـدرك الخادم فداحه الدينونة ورهبتها.. كما كتب الرسول بولس: "**فَإِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الـــرَّبِّ** نُقْنِعُ النَّاس" (٢كو ٥ : ١١).. والمقصود بمخافة الرب، هو **حقيـــقة الدينونة المخيفة..** لأنه "**مُخِيفٌ** هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!" (عب١٠:٣١).

وثــانياً: الخوف من جسامة المهمة المقدسة الموكولة الى الخادم، خشية أن يقدم شيئاً غير **المســـيح وإياه مصلوباً** (١كو ٢ : ٢).. كما أضاف الرسول: "وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ **وَخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ**" (١كو٢ : ٣).

وثالثاً: مخافة الرب، لا الخوف من الناس، عندما يسألوننا (١ بط٣:١٤).. فوجه الرســـول بطرس كلامه المؤمنين: لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة **وخوف**" (١بط ٣: ١٥).. لا بعنف أو تكبُّر.

هــذا الخوف المثلوث يكون مقترناً **بالدموع..** لا بركوب صاروخ الكبرياء – كــ "الشاويش بركات" – وفى هذا يقول الرسول لمشيعيه، قبل سفره: "كَيْفَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ الزَّمَانِ، أَخْدِمُ الرَّبَّ **بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَدُمُوعٍ كَثِيــرَةٍ**" (أع ٢٠ : ١٩).. و"لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ **بِدُمُوعٍ** كُلَّ وَاحِدٍ" (أع ٢٠: ٣١).

ذلك لأن الخادم مشبَّه بالزارع الذى خرج ليـــزرع (مت١٣:١).. والذين يزرعون، إنما "**يَزْرَعُونَ بِالدُّمُوعِ**" (مز١٢٦ : ٥).

لكن ما أن يـــرى الخادم، أو المبشِّر هذا الثمر والحصاد – إن أتيح له أن يراه – حتى يزول كل تعب لاقاه.. وتهون كل كل مقاومة كابدها.. وليس كما ذهب يجئ – "وكأنك يابخيت، لا رُحت ولاجيت" – كلا.. لقد ذهب لاختطاف النفوس من الـــنار، **بالبكاء..** لكنه يـــحصد **بالابتهاج،** و"مَجِيــئًا يَــجِيءُ **بِالتَّرَنُّمِ** حَامِلاً حُزَمَهُ"

(مز ١٢٦:٥،٦).. وإن لم يُتَح له فى حياته أن يرى ثمار خدمته، فبكل تأكيد سـيقف عليها فى المجد كاملة.

إلـى هنا فالـفرح بالحصاد، أمر طبيـعى.. مع الوضع فى الاعتبار أن الحصاد ليـس منظوراً كله الآن، بصفة كاملة.. كما لا ينبغى أن يضع الخادم قلبه على هذا الحصاد.. بل "**فِي الصَّبَاحِ** ازْرَعْ زَرْعَكَ **وَفِي الْمَسَاءِ** لاَ تَرْخِ يَدَكَ لأَنَّكَ **لاَ تَعْلَمُ أَيُّهُمَا يَنْمُو** هذَا أَوْ ذَاكَ أَوْ أَنْ يَكُونَ كِلاَهُمَا جَيِّدَيْنِ سَـوَاءً" (جا ١١ : ٦).. فإن أوتى له أن يرى النتيجة ، فرح.. وإلا فلا يبحث عنها.

لـكن لأننا بشر – فى نهاية الأمر – فبخلاف الفرح بالحصاد، تجد البعض منا يصيبه الزهو والفخر.. فيلجأ الى صاروخ وهمى، مثل "شاويشنا" العزيز.. وهنا تجئ التجربة.. فـ "يَتَصَلَّفَ (الخادم) فَيَسْـقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ" (١تى٣ : ٦).. أى يسقط، فيما سبب الدينونة لإبليس؛ أى **الكبرياء**.. وإن كانت دينونة إبليس أبدية، لكن معاملات الله مع المؤمن – إن تكبَّر – هى زمنيـة.. لأننا "نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ" (١كو ١١:٣٢).

وصواريـخ البعض ضعيـفة لا تكاد ترتفع عن أرض الواقع.. بينما تجد صواريـخ البعض، تطاول السـحاب، وتناطح النجوم.. وتفوق صاروخ "شاويشنا" الطيِّب.. فتجدهم يتحدثون عن أمجاد فى خدمتهم.. وانتصارات بواسـطتهم.. وهدم أسوار بصلواتهم.. ودك حصون بسلطانهم (العجيب)!!

ويظن الخادم، إذ ذاك، أنه رجل النجدة الخفيف.. منقذ الهالكين السـريع، مُفوَّه الفم الفظيـع.. صاحب العظات المُحكمة، رجل النهضات المباركة.. فصيـح اللسـان، بليغ البيان.. قوى الهمة، متين الحجة.. روحى الخدمة، ممسوح الكلمة.. يجنى مصادقة المؤمنين، ويهتبل رضا المسـئولين (فى الكنيسة).. يُشار إليه، فتلمع الخوذة براقة.. يُـمتدح فترِنُ الأجراس عالية.. يرفعُه الشعب، فيقبّلون يده.. يُرشَّح

للمهام الجسيمة.. فتتفتح له الإشارات الحمراء.. فيغيب فى صاروخه.. منفصلاً عن أرض الـــواقع.. ناسياً أن الكل - إن هناك شئ - **فهو من الله**.. لأنه "أَيُّ شَيْءٍ لَكَ (أى فى حوزتك) لَـــمْ تَأْخُذْهُ (من الله)؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ (من الله) فَلِـــمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟" (١ كو ٤:٧).

فإن كان يعمل فى إدارة المطافئ الســـماوية، فلا فضل له فى اختيار هذه الإدارة.

وهكذا نجد خادمنا الموقر هذا، يـــشارك "شاويشنا" الحالم، فى رحلته إلى الفضاء الأعلى.. وكلٌ فى صاروخه يسبحون.

فى المباحث

فى أحد الأيـــام، وبيـــنما " الشاويـــش بركات ". بزيِّة المميز.. وقُلنُســُوتِّه اللامعة.. يهيم فى صاروخ أوهامه.. اســـتدعاه الضابط النوتى (النبطشى) ليســـلمه قراراً بالنقل.

من داخل صاروخه يحدث نفســــه: " لاشك أن النقل سيكون لمكان أرفع.. جهة سيادية مثلاً.. وربما مع ترقية.. تقديراً لخدماتى".

لكن ما أن يتسلم القرار.. وتقع عيناه على محتواه، حتى يبدأ صاروخه فى الهبوط.

لم يكن النقل إلى مكان أرفع فى جهة سيادية.. ولا حتى فى إدارة المطافئ - ولو بغير ترقية - بل الى إدارة أخرى هى؛ إدارة مكافحة المخدرات.

أوامر عسكرية لا تعصى.

على مضض، وقّع باســـتلام الأمر.. وبحزن، خلع البَزّة البهية.. وبأسف، انتزع التاج النحاســـــى.. وبأسى، سلّم باقى العهدة.. وبإحباط، ترك صاروخه على باب مكتب ضابط المطافئ.. فيالالإحباط.

وفى مكتب الضابط الجديـــد، ســـلم نفســـه.. وفى مركز التدريب، قال له " الصول" المســـئول: مهمتك هى التربُّص بالمجرميـــن متنكراً.. أحياناً، فى جلباب وطاقيـــة.. وأخرى، فى بالطو وطربوش.. وثالثة بعاهة صناعية.. تارة تكون رجل مجتمع محترماً.. وأخرى صعلوكاً هائماً، يســـخر منك الصِّبية.. أحياناً بائعاً، يجر

عربة بطاطا.. وأخرى ضريراً يقوده صبى للتسول.. مفهوم؟

يرد بانكسار : مفهوم يا فندم.

يضيف "الصول": واسمك هايكون "**عتريس**".

يسأل بركات : لكن ليه يا فندم.. حصل منى حاجة؟

يرد الصول : بالعكس.. إنت مثال الإنضباط والتفانى.. عشان كدة اخترناك للمهمة الصعبة دى لأنك كفء وسداد.

بركات : بس الإدارة دى....

يقاطعه الصول : الإدارة دى زى إدارة المطافى تمام.. زى كل إدارات وزارة الداخلية.. كلها تعمل كمنظومة واحدة.. لخدمة الشعب.. وكلها تكمل بعضها.

بركات : شكراً يا فندم.

الصول : اتفضل ع المخازن، لاستلام العهدة.

بركات : تمام يا فندم .

ثم ينصرف.. وفى مكتب "الصول" أمين المخازن، يتسلم عدة الشغل الجديد.. قصعة حديدية من التى يستعملها عمال البناء.. ليستخدمها هو فى شئ كيزان الذرة.. أمام أحد المقاهى المشبوهة.. وعينه تكون فى حقيقة الأمر، على ما يدور داخل المقهى.. لا على مايُشوى داخل القصعة.

ماذا دهاك أيها الشاويش المبجّل؟.. ولم كل هذا؟.. حتى اسمك؟.. هكذا كان يُحدث "بركات" نفسه.. أين أنتِ يا سيارة الإطفاء العزيزة؟.. وأين خوذتك اللامعة.. وأجراسك الرنّانة.. وإشارات مرورك المفتوحة.. وطريقك السالك بانسياب؟.. أين شكر الشاكرين.. وهتاف الحامدين؟

أيصل بك الحال إلى أنه بدلاً من **تخليص المنكوبين**، بالأمس.. **تتربّص بالخارجين على القانون**، اليوم.. تخدعهم بشكلك المستعار.. وتوهمهم باسمك

الخشن.. حتى يأمنوا جانبك.. وفى لحظة تتكشف شخصيتك الحقيقية.. لحظة القبض عليهم؟

وبدلاً من **إطلاق المحاصريـــن الى الحرية.. تحرم الطلقاء منها.. لايغيِّر** هذا من كونهم متهمين ومطلوبين للعدالة؟

فتنقلب دعوات المسـبِّحيـن بفضلك، إلى لعنات الناقميـن عليك.. وينقلب اســمك المُنبِى عن البركة، إلى "عتريس".. وما أدراك ما عتريس.. تبا لك يا دنيا.. هكذا كان "بركات" يحدث نفسه.

وفى طريق عودته إلى المنزل، يلاقيه الأستاذ "**عبد الحفيظ**"؛ مدرس اللغة العربية.

"عبد الحفيظ" : أهلاً بحضرة الصول.

"بركات" : يتمتم.

"عبد الحفيظ" : أراك متجهماً.

"بركات" : لا يرد.

"عبد الحفيظ" : ما بالك؟.. أَخَطْبٌ دهاك؟

"بركات" : أبداً.

"عبد الحفيظ" : إذاً خبرنى.. ليطمئن قلبى.

وخلال الحديـــث يعلم "عبد الحفيظ" أن اســـم "بركات" الحركى ســـيكون "عتريس"

"عبد الحفيظ" : ألـــهذا تعبس؟.. ألا تعلـــم أن العتريـــس عند العرب هو الغول الذكر؟.. ولاشك أن اختيـــار هذا الإســـم لك هو بسبب أعمالك البطولية.

"بركات" : أنت تمزح.

"عبد الحفيظ" : كـلا بل هذا ما جاء فى "لسان العرب" "لابن منظور".. وفى قاموس المعانى والأسـماء.. بل قال "المناوى" فى الأذكار، أن الغيـلان هى من جنس الجن والشياطين.. وهكذا قال "الجزرى".. وغيرهم.

"بركات" : لا يرد.

"عبد الحفيظ" : إذاً أنت همام.. رجل الإنقاذ الـسـريـع، تقوم بما لا يستطيع البشر أن يقوموا به.

"بركات" : لا يرد.

"عبد الحفيظ" : على العموم خذ الموضوع ببساطة.. فأنت ونحن؛ كلنا، فى خدمة الوطن.. نضحى ليـس فقط بأسـمائنا.. بل بحياتنا فداء له.

وفى منزله تسـأله زوجته عن الأحوال.. منكس الرأس يجيبها.. وخارج صاروخه يرد عليها.

تهون عليـه "رئيـفة"، بأن عملك القديم، كانت نوباته طويلة، أما الجديد، فلعدة سـاعات فقط فى المساء.. فى القديم، كنت تتعلق فى الهواء على السلم، بينما فى الجديـد، تجلس فى أمان على الرصيف.. قل لى أيهما أهون: نيران هائجة فى مبنى.. أم نيران محصورة فى قصعة.

وهو عنها فى غيـابة جبٍّ يغوص.. إذ انقلب صاروخه الى غواصة.. فيا للنزول.

أمام المقهى

فى جلباب رثٌ.. وطاقية "مزيّتة".. وشبشب متهالك.. جلس أمام المقهى.. "القصعة" أمامه.. وقودها " قوالح" الذرة.. وفوقها الكيـــزان.. بيـــد مرتخية "يهوّى" عليها.. وبصوت أسيف ينادى : "ذرة مشوى".

وليـــلة بعد ليـــلة، ابتدأ أهل الحارة يـــعتادون على وجود الرجل الطيـــب "الغلبان".. اشتروا منه.. أم لم يشتروا.

فى مكتب معاون المباحث

الضابط : أنت استحليت الشغلة دى يا "شاويش".

الشاويش : أبداً يافندم.

الضابط : أمال لغاية دلوقت مفيش ولا ضبطية.

الشاويش : أعمل إيه يافندم؟

الضابط : شد حيـــلك أمَّال.. اليومين دول فيه إخبارية عن شحنة مخدرات.. جزء منها هايروح القهوة.. عشان الزباين.

الشاويش : يعنى أول ما أشوف "زبون" يتعاطى، أقبض عليه؟

الضابط : لا.. "الـــزبون" مش هو الــمطلوب .. المطلوب هو "القهوجى".. عشان يوصلنا لرئيس العصابة.

الشاويش : يعنى أمسك "القهوجى"؟

الضابط : باين عليك مش ها تفلح.. فيه "بياع" ذرة يمسك "قهوجى".

الشاويش : أمال أعمل إيه؟.. فطَّمنى يا فندم.

الضابط : هاتكون فيه عربية ميكروباس ملاكى واقفة، فى العطفة "العتمة".. وفيها رجَّالتنا بهدوم ملكية.. وهندّيلك "كلمة الســـر".. بمجرد ماتشوف الزبون بيتعاطى المخدر، تصرخ بأعلى صوتك بـ"كلمة الســـر".. ها يســـمعها رجالتنا فى الميكروباس.. ويقوموا بالباقى.

الشاويش : وإيه هى كلمة السر؟

الضابط : كلمة "يلزم إنها تتقال" بصوت عالى.

الشاويش : زى إيه؟

الضابط : زى مايكون بتنادى على حد.

الشاويش : يعنى أنادى عا الرجّالة اللى فى الميكروباس؟

الضابط : لما هى كلمة سر يبقى تنادى على رجالتنا إزاى؟

الشاويش : يا بيه أنا راجل طول عمرى بتاع مطافى.. وماليش فى الشغلة دى.

الضابط : إنت راجل طيب.. فى البوليس، مافيش حاجة اســـمها عسكرى مطافى، وعسكرى درك.. العسكرى هو العسكرى.. كمان عملوا لك تدريب على الشغلة دى.. مفهوم؟

"بركات" : تمام يا فندم.. يقولها هاتفاً.

الضابط : هنا فى المباحث حاجة تانيـــة.. بيـــختارونا لأننا أذكيـــاء.. وصاحيين.. ومفتحين.. وتاريخنا مشرّف.. وعشان كده اختاروك لذكائك وتضحياتك.

الشاويش : شكراً يافندم.

الضابط : نشوف بقى "**كلمة السر**"، اللى تنادى بها.

الشاويش : اتفضل يافندم.

الضابط : تكون كلمة تنقال بصوت عالى.. علشان البعيد يسمع.

الشاويش : يعنى أنادى عا السكان اللى فوق؟

الضابط : أيوه اللى فوق.. بس اللى فوق خالص.

الشاويش : يصمت متحيراً.

يعاجله الضابط : مين فوق خالص، غير ربنا؟

الشاويش : أنادى على ربنا يعنى؟

الضابط : تمام تنادى لربنا.

الشاويش : أقول إيه؟

الضابط : تقول، مثلاً، "**أسترها يارب**"..بس بصوت عالى.. يسمعه رجالتنا.. مفهوم؟

الشاويش : تمام يافندم.

على المقهى ثانية

فى المســـاء، وكالعادة جلس "عتريس" (بركات سابقاً) على الرصيف، أمام "الزبائن".. معظمهم كانوا يجلسون خارج المقهى، فى الهواء الطلق.

طلب "ولعة" من أحد الزبائن الذيـــن يدخنون النارجيلة (الجوزة).. أعطاه، فأشعل نيران القصعة.. بعض الصبية اشتروا منه.

تظاهر بانطفاء النيـــران ثانيـــــة.. طلب "وِلعة" من زبون آخر.. أعطاه.. وهكذا عاود الكرّة ، مع زبون ثالث، ورابع.. غيّــر مكانه.. تظاهر أيــضاً بانطفاء النيران.. وأخيراً طلب من أحد الزبائن؛ "ولعة " يا بيه.

الزبون : .... لم يرد.

"عتريس" : ولعة يابيه؟

الزبون : ربنا يولّع فيك....

"عتريس" : ليه بس؟

الزبون : كدَّرتنى يا شيخ.. كنت باعمل دماغ.

"عتريس" : سلامة دماغك.

الزبون : طلعت لى منين؟

"عتريس" : خدَّامك.

الزبون : عاوز أيه؟

"عتريس" : "وِلعة".

الزبون : "ولعتى ماتنفعكش".

"عتريس" : اشمعنى؟

الزبون : متكلِّفة.

"عتريس" : وهى كمان متحلاش إلا باللّمة.

الزبون : قصدك إيه؟

"عتريس" : ما انت عارف.. اللى يشرب وحده يشرق.

الزبون : يعنى إيه؟

"عتريس" : إحنا برضه لينا نِفْس.. واللا ماحناش ناس يعنى؟

الزبون : بأمارة إيه؟

"عتريس" : كلنا ولاد تسعة.. واللى يقدم السبت يلاقى....

يقاطعه الزبون: إنت حيلتك سبت واللا حد؟

"عتريس" : قول بس يا "عتريس".. وانت تلاقى السبت والحد.. وأيتها يوم يلزمك.

الزبون : قُصره..عاوز إيه؟

"عتريس" : أنفاس قليلة تمنع بَلاَ....

يعترض الزبون: الصنف تقيل عليك..ما انتاش قدُّه..خايف عليك ياغلبان.

"عتريس" : ماتخافش.. ربك يسترها.

ثم يرفع عتريس يديه نحو السـماء.. وبأعلى صوته، يهتف: "**اسـترها يارب**".

الكبسة

ما أن سمع الرجال فى الميكروباس كلمة السر، حتى انقضوا على المقهى.. وراحوا يصادرون النارجيلات.. يخرجون المخدر من مخبئه.. يحرّزون المضبوطات.. يشمّعون المقهى.. ويقتادون " القهوجى"، مقبوضاً عليه، مع بعض الزبائن، إلى الميكروباس.

يحدث هرج فى الحارة.. لفيف يتجمهرون.. و"عتريس" مازال أمام القصعة ينادى على الذرة.

يناديه زملاؤه: إنت مش حاسس.. خلاص، مهمتك انتهت.. وآخر ينادى: تعال يا "بركات".

يُصعق السامعون.. ويتساءل واحد: بقى الغلبان، "بتاع الدرة" ده، يبقى "**بركات بتاعهم**" ؟

وآخر: ويدَّعى ان اسمه "عتريس".

يتعجل رجال البوليس "بركات" قائلين: بسرعة يا " شاويش" ويدفعونه للميكروباس.

يذبهل واحد ويهتف: ويبقى "**شاويش** كمان"؟

وغيره: "منُّه" لله.

ومن وسط الجموع تتبرى إمرأة : بتاع الدره ده هوَّ اللى عملها.

فترد أخرى : كنا فاكرينه موسى ، طلع فرعون.

أحـد المسنين يقول: كنا عارفين إن البوليس مش ها يسكت على ما يحدث فى هذا المقهى.. كانت مسـألة وقت.. خليـها تتضف.. وربنا يـخليـلنا الشرطة ورجالتها.

وبيـنما يـتحرك الميـكروباس، يلمح "بركات" إمرأة تخرج من الحارة.. معرِّية رأسـها.. رافعة طرحتها، بيديها الإثنتين، فوق رأسـها.. تدعو بكل اللعنات التى تعرفها، على اللى كان السبب.. إنها أم القهوجى.

يـعود بركات إلى منزله.. تسـأله زوجته عن الأحوال.. يرد باقتضاب.. تحاول إخراجه من حالـة الانكسـار الـتى تعتريـه.. فلا تقدر.. مازالت أصوات اللعنات، تتردد فى أذنيه.. ومابرح منظر التى تولول، يتراقص أمام عينيه.

تجاهد معه.. وهو عنها مشغول، بالمقارنة بين ما كان يسـمعه من كلمات المديـح، أيـام عمله فى إدارة الإطفاء، وبيـن ما يسـمعه الآن من عبارات الذم والسـخط.. بيـن ثيـاب الإطفاء المحترمة، وبين الجلباب المهترئ.. بين الخوذة اللامعة، وبين الطاقية الجرباء.. بين الأجراس التى كانت تفسـح له الطريق، وبين الـجمع الذى سد عليه منفذ الإفلات من بين أيديهم.. بين أم الفتاة التى أنقذها، وقبّلت يديه، وبين أم القهوجى، التى لعنت أجداده.

صحيح دنيا غداره .. يقولها "بركات".. تسمعها زوجته.

فترد : أنت مش معايا يا بركات.

فـيرد بيأس: لسه بتقولى "بركات"؟.. خلاص ماعدش فيها بركة.. قولى يا "عتريس".

فترد : وماله، "عتريـس".. "عتريس".. مش كله شغل؟.. يعنى انت كنت بتلعب.. ما ده برضه شغل للحكومة.

"بركات" : يعنى عاجباكى البهدلة اللى بقيت فيها.

"رئيفة" : زعلان لـيـه؟.. مادام وانت "عتريـس" بتخدم الحكومة.. زى ما كنت بتخدمها وانت "بركات".. والـلا عايـز تنام من غيـر شغل.. علـى الـعموم بكره تُفرج.. ويـمكن يـرجعوك تانى للمطافئ.. بس إنت قول يارب.

بركات : أقول يارب.. واللا "استرها يارب"؟

****

هكذا الخادم منا، أحيـاناً، بعد خدمته فيـما يشبه إدارة المطافئ – وفيها يـخلص البعض مخطِتفاً إياهم من النار (يه ٢٣) – تأتى فترات، يُنقل فيها إلى ما يشبه إدارة المباحث، ولكن السـماوية.. فيتسلم، من الرئاسة فيها، قراراً بالنقل إلى حيـث يـوجد رافضون لفكرة النيران الأبدية، فلا يلتمسـون النجاة.. بل كارهين الاعتراف بالهلاك، فلا يطلبون النجدة.. وبالتالى لا توجد سـيارة إطفاء لخدمتهم.. ولا خوذة لامعة لـلـخادم.. ولا أجراس رنانة لـلـشـهرة.. ولا إشارات مفتوحة للانطلاق.. ولا طرق سالكة للعبور.. إلى آخر ما يؤدى إليه هذا من مجد مصاحب لنجاح الخدمة.

فيـنفِّذ النقل إلى مايـشبه رصيف "عتريس".. فينقلب لمعان الخوذة، إلى انطفاء الطاقية.. وتمسـى الأجراس الرنانة، مناداة فاشلة على بضاعة مرفوضة.. وربما وجدت الذُّرة المشويَّة من يشتريها من "عتريس"، أما بضاعة خادمنا الآن، فى هذه الحالة – أى الإنجيـل – فلا أحد يقبلها، فى هذا الوقت، أو يُقبل عليها. مع أنها مجانيـة!.. يطوف حاملها بها، دون أن يرى مشترين.. وربما لا يدرى أنه فى هذه الحالة – حالة عدم وجود ثمر– إنما يخدم الجهة السـماوية التى يتبعها؛ خدمة من نوع آخر.

أية خدمة هذه؟

إنها إثبات حالة التلبُّس.. إن الله حتى يســتوفى كل الإجراءات القانونية، التى على أساسها يحاسب الإنسان مستقبلاً – باعتباره قاضياً عادلاً (مز ٧: ١١) – لابد له من إثبات حالة التلبُّس هذه.

تلبُّس بأى شئ؟

قبل أن نجيب على هذا الســؤال، يقفز الى السطح سؤال يسبقه.. ماهو؟.. هو لماذا يحدث هذا مع خادم، دون آخر، أو مع خادم فى فترة، دون أخرى؟

هل هو تأديب له من الرب، لركوبه صاروخ الكبرياء.. ظاناً فى نفسه أنه شئ؟.. أم هو تدريــب له، حتى يــفرغه الرب من ذاته، ويقوده الى الاتضاع، لئلا يرتفع، إن كان قد سبق له النجاح فى خدمته؟.. يجوز.

لكن ما كانت هذه الأسباب، هى الأسباب الوحيدة المحتِّمة لهذا.. ولا كانت لها الأولية فى ذلك.

فكما ســبقت الإشارة، فإن النقل – إن حدث – كان هذا بالدرجة الأولى، لإثبات حالة تلبُّس الرافضيــن كغرض أصلى.. وليــكن بعد ذلك لتدريــب الخادم، كغرض فرعى ثان.. أو لتأديــبه كغرض ثالث.. فالله يضرب عصفورين، أو ثلاثة بــحجر واحد.. أو فلــنقل – إن أراد – فأهداف الــكون كلــه، بــحجر واحد، أى بالأحرى، فقط بكلمة واحدة منه.

ولــيس هناك اختيار للخادم فى **نوعية** خدمته (رو١٢:٦ & ١كو١٢:٤،٧ & أف٤:١١).. ولا فى **مكانها الــــجغرافى** (أع٨:٢٦ & ١٦:٦،١٠).. ولا فى **مكانها الرمزى**، إن فى إدارة الإطفاء، أو فى إدارة المباحث.. بل الاختيــار فى كل هذا، هو للقائد السماوى الأعلى؛ "رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ" (يش ٥ : ١٤)؛ وزير الداخلية

السماوى.. وذلك لسبب يعرفه الخادم، أو لايعرفه.

فـالقائد هو صـاحب السلطان.. وله رؤية أعم وأشمل وأبعد نظراً من رؤية الجندى.. والجندى - لأنه جندى - عليه أن ينفذ الأمر.

يقول الضابط "للشاويش بركات" بحزم: "مافيش حاجة اســـمها عسكرى مطافئ وعســـكرى درك.. العسكرى هو العسكرى.. مفهوم؟".. فيجاوبه "بركات" هاتفاً: "تمام يافندم".

وهذا ما أشار إليه قائد المئة - عندما طلب من (الرب) يســـوع أن يقول كلمة فقط فتســـتجيب لها السماء والأرض، فيبرأ غلامه - فى قوله: "**لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهذَا: اذْهَبْ! فَيَذْهَبُ، وَلآخَرَ: ائْتِ! فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِيَ: افْعَلْ هذَا! فَيَفْعَلُ**" (مت٨:٩).

الاختيـــار فى جميع الأحوال، ولجميع الأماكن، وكافة الأوقات، هو للقائد الســـماوى الأعلى.. وما على الجندى إلا التنفيـــذ.. وما على الظروف - الخاضعة للقائد السماوى - إلا التمهيد.

نعود الى ســـؤالنا؛ تلبُّس بأى شئ؟ .. هل هو تلبُّس بارتكاب جريـــمة.. كالســـرقة بالإكراه مثلاً.. أو القتل.. أو حيازة ممنوعات.. أو الاتجار بالمخدرات؟.. كلا.. لا هذا، ولا ذاك.. فتلك ليست مهمة خادم الإنجيل.. إذاً تلبُّس بأى شئ؟

أنه التلبُّس بجريـــمة أكبر.. أتوجد جرائم أكبر من هذه؟.. نعم.. ماهى؟.. إنها الجريمة التى عقوبتها النار الأبدية.. ماهى؟

إنها الرفض المتكرر للإنجيل.

فـليست خطايا البشر هى السبب فى هلاك من يهلك.. بل السبب كما كتب

الرســـول: مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ (أى رفضك المتكرر للدعوة الإلهية لقبول المخلص).. وليس من أجل خطاياك – مع وجودها بل – " مِنْ أَجْلِ قَسَـــاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَـذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبَاً فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ **حَسَبَ أَعْمَالِهِ**" (رو ٢ : ٥، ٦).

فالديـــنونة ليـــســـت **من أجل الخطايا**.. وإلا لهلك الجميع .. بل **من أجل القساوة** (برفض قبول البعض للإنجيل).. لكنها **بحسب الأعمال والخطايا**.

الاتـــهام **الشكلى** الموجه إلى المدانين، هو "**قساوتهم**" (رو٢: ٥).. وهذا ما يدرجهم فى قائمة المدانين بالدينونة الأبدية.. أيا كانت أعمالهم أو خطاياهم.

لتفحص قضيتهم بعد ذلك **موضوعياً**، "**بحسب أعمالهم**"(٣) (رو٢:٦).

وما دامت هناك قســـاوة، فهناك إذاً رفض متكرر للإنجيل.. أى أن هناك **إنجيل مرفوض**.. يلزم إذاً إثبات حالة التلبُّس برفضه.

من الذى يـــثبت هذه الحالة.. هل هو "شاويش" فعلى مثل "عتريس".. أو حتى ضابط، ولو برتبه عظمى؟.. كلا.. إنها حالة قلبيـــــة.. وليســـت جريمة مادية الأركان، يخضع مرتكبها لقانون الإجراءات الأرضى.

لذلك فإن الذى يرصدها هو "فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ" (مز٧:٩).. ثـــم لكى يثبت الله هذا الرفض، – ممن يرفض – يستخدم شخصاً لتقديم هذا الإنجيل المرفوض.

من تراه الشخص الذى يســـتخدمه الرب لتقديم إنجيل مرفوض؟.. هل هو شخص غيـــر مؤمن؟.. لعله الشيـــطان مثلاً؟.. كلا بالطبع.. إن الذى يقدم الإنجيل – مقبولاً كان أم مرفوضاً – هو **خادم للإنجيل**.

إذاً هو خادم " ٢/١ كُمّ"، كما يحلو للبعض أن يقولوا؟.. ومع رفضنا **فكرة** تصنيف الخدام.. فإننا نقول، أن العكس هو الصحيح.. لأنه كلما كان الخادم قوياً فى خـدمته – حتى لو كانت بسيطة – كانت الإدانة للرافض أدمغ.. وكلما كانت الخدمة ممســوحة **بالروح القدس**، كانت الجريمة، لا رفضاً فقط للإنجيل، بل أيضاً مقاومة للروح القدس (أع ٧ : ٥١).. المتكلم فى الخادم (مت ١٠ : ٢٠).

فـالرب يحتاج إلى خادم حقيقى.. مدعوٌ من الله للخدمة.. "موظَّف رسمىٌ" فى الوزارة الســماوية (لا مجرد موظف فى كنيســـة، أو فى هيئة دينية).. خدمته قوية.. وممســوحة بالروح القدس.. حتى لا يكون هناك عذر لرافضها.. وليكن من أمر الخادم بعد ذلك ما يكون.. "**بركاتاً**" **كان، أم** "**عتريساً**".

فـما على الخادم إذاً، إلا أن يقدم إنجيل المسيح فقط.. وليس من شأنه، بعد ذلــك، أن يُقبل الإنجيل، أو يُرفض.. فـ"**هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ**" (مت١٣:٣).. وليــس من اختصاصه أن تقع البذار على **الأرض الجيدة**.. فمن ضمن أربعة أنواع مــن الأراضى، كان هناك نوع واحد يصلح للإنبات.. وما على الزارع فقط، إلا أن يـــبذر البذار.. دون اعتبار لنوعية الأرض.. أو كمية الثمر.. أو حتى لعدمه.. إذ "**لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئاً وَلاَ السَّاقِي بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي**" (١كو ٣ : ٧).

وفى هذا يكتب الجامعة: "**فِي الصَّبَاحِ ازْرَعْ زَرْعَكَ وَفِي الْمَسَــاءِ لاَ تَرْخِ يَـدَكَ لأَنَّكَ لاَ تَعْلَمُ أَيُّـهُمَا يَــنْمُو هَذَا أَوْ ذَاكَ أَوْ أَنْ يَكُونَ كِلاَهُمَا جَيِّدَيْنِ سَــوَاءً**" (جا١١:٦).

فالقضيـــــة هنا ليســت قضية خادم ناجح.. وآخر فاشل.. خادم "بركة".. وآخــر "عتريس".. بل قضية مكان الخادم فى الإدارات السماوية.. هل هو (رمزياً) فــى إدارة المطافئ.. أم فى إدارة المباحث؟.. تلك هى القضية.. وهى ترجع لتوزيع القائد السماوى الأعلى.. الذى يسميه الرسول: "**رَئِيسُ الرُّعَاةِ**" (١بط ٥ :٤)[٤].

وأيـــا كان توزيع الخادم، أو المكان المحدد له للخدمة.. فهو فى أى منها يؤدى ذات الخدمة، للجهة الســماوية التى يتبعها.. مرفوضة خدمته، أم مقبولة ممن يسمعونها.

تقول رئيــفة لـــبركات: "وماله" "عتريـــس".. "عتريـــس".. مادام وانت "عتريس".. بتخدم الحكومة، زى ما كنت بتخدمها وانت "بركات"

يضاف إلى ذلك أيضاً، أن الخادم الواحد نفســـه، من الممكن أن يكون فى هذه الإدارة يــوماً.. وفى تلك يــوماً آخر.. أو يـــكون فى ذات الوقت، وأثناء ذات الخدمة الواحدة التى يـــقدم فيها الإنجيل، فى الإدارتين معاً.. فيقبل البعض خدمته.. فيكون سبب بركة لهم، كـ "**الشاويش بركات**" فى إدارة المطافئ.. ويرفضها البعض الآخر.. فيكون سبب إدانة لهم، كـ "**عتريس**" بائع الذرة، فى إدارة المباحث.

فيـــكون الإنجيل الواحد لفريق، "**رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ**" ولفريق آخر "**رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ**" (٢كو٢: ١٦).. كما سيأتى ذكره.

وما نود أن نشيـــر إليــــه هنا، هو علاج حالة الإحباط، و**صغر النفس**، إن أصابت الخادم، وهو يرى نفسه "**عتريساً**" بلا ثمر منظور.

إن الرب يـــقول للخادم، وقت أن يقوم بدور "عتريس"، ما ســبق أن قاله للصغيـــر الذليـــل (قض٦:١٥) – فى نظر نفســـه – جدعون: "**الرَّبُّ مَعَكَ يَا جَبَّارَ الْبَأْسِ**" (قض٦:١٢).

فى النقاهة

فى إحدى مأموريات الشرطة، لتعقب تجار المخدرات، بدأ التجار وأعوانهم بإطلاق النيران على رجال الشرطة.. وأثناء تلك المداهمة، أصيب "عتريس" (الشاويش بركات).

عولج فى مستشفى الشرطة بأحدث ما يكون العلاج.. مع توفير كل وسائل الإهتمام المعنوى به، والعلاج الطبيعى له.

وفى المكتب

الضابط : حمد الله بالسلامة يا "بركات".

"بركات" : البركة فيكم.. وفى الدكاترة، فى مستشفى الشرطة.

الضابط : الوزارة تقدّر ما قمت به من أعمال بطولية.. وهذا ليس جديداً عليك، منذ كنت فى إدارة المطافى.. فملفك الوظيفى كله رائع.

"بركات" : بتوجيهات سيادتكم، يافندم.

الضابط : الوزارة قررت صرف مكافأة تشجيعية لك.

"بركات" : كتير يافندم.. كفاية المستشفى.. والعناية اللى قدمتموها ليا.

الضابط : أنت تستاهل يا "بركات".. أنت وكل اللى يضحى عشان الوطن.

"بركات" : شكراً يافندم.

الضابط : تقارير الأطباء تفيد بأنك لن تكون حالياً قادراً على مواصلة العمل.

"بركات" : يعنى إيه؟

الضابط : يعنى تستريح فى البيت.. وتتردد على المستشفى كل فترة لمتابعة

حـــالتك.. حتى تتعافى تماماً.. وربما – إن شاء ربك – تعود للعمل.. أو تحال إلى المعاش.

"بركات" : إزاى يافندم؟

الضابط : دخلك المادى لن يتأثر.. لأنها إصابة أثناء العمليات.

"بركات" : مش فكرة فلـــوس يـــافندم.. أنا الــــعمل هو كل حيـــاتى.. وقبلت أكون "عتريس".. خدمةً للشرطة.. وللشعب.

الضابط : واحنا كمان تهمنا صحتك.. ولو اتّكيت على نفســـك ها تتضرّ.. ده تقرير الدكاترة.. وبعديـــن فيه أنشطة مدنية أخرى لجهاز الشرطة، تقدر تنضم ليها.

"بركات" : بس يا فندم أنا....

يـــقاطعه الـــضابـــط: ها تكون فترة نقاهة مؤقتة بإذن الله.. وإن احتجت أى حاجة، الجهاز فى خدمتك.. مع السلامة.

وفى منزله

تسأله "رئيفة" : لايرد.. يدخل الحجرة.. تدخل وراءه.

بعد فترة تسأله: خير يا "بركات".

"بركات" : ماتقوليش "بركات".

"رئيفة" : طيب يا "عتريس".

"بركات" : ولا "عتريس".

"رئيفة" : طيب أى إسم.

"بركات" : لا إسم.. ولا حاجة خالص.. مافيش.

"رئيفة" : إزاى؟

"بركات" : يعنى لا إسم.. ولا شغل.. ولا حتى وجود.

"رئيفة" : ليه لا سمح الله؟

"بركات" : حياتى كلها مرتبطة بالعمل.. حتى إسمى، يخضع لمتطلبات الوظيفة.

"رئيفة" : للدرجة دى.. هو الضابط قال إيه بالضبط ؟

"بركات" : فترة نقاهة.

"رئيفة" : يعنى إيه؟

"بركات" : حاجة كدة زى أجازة طويلة.. ويا عَالِم.

"رئيفة" : ونعيش إزاى؟

"بركات" : مرتبى ها يمشى.. غير المكافأة.. ومستورة والحمد لله، من الناحية دى.. إنما اللــى حازز فى نفســى إنى أتحرم من الشغل.. إللى طول عمرى، قلبى واكلنى عليه.. **لأنه كل حياتى.**

"رئيفة" : ما أنت أتعوّرت ياخويا.

"بركات" : ومستعد أتعوّر تانى.

"رئيفة" : وماله.. لما تشد حيلك.. المهم دلوقت، تخلى بالك من صحتك.

"بركات" : وأقعد فى البيت؟

"رئيفة" : عيالك محتاجين لك.

"بركات" : وأبقى إيه.. "**أبو العيال**"؟

"رئيفة" : أبو العيال.. أبو العيال.. حسّك بالدنيا.

"بركات" : أى حس.. وأى دنيا.. من "بركات".. لـ "عتريس".. لـ "أبو العيال".. دنيا قلابة صحيح

"رئيفة" : أبو العيال.. بس **بَطَلْ**.. وده قليّل؟

يـقول "بركات" لـ "رئيفة": **الشغل هو كل حياتى**.. وهى عبارة صحيحة، مقولة من شخص مخلص، على المستوى الوطنى، فى الحياة الحاضرة.

أما بمنظور الخدمة المسيحية.. وما ترنو إليه لما بعد الحياة الحاضرة، فإن الأمر مختلف.. فالخدمة ليست هى كل الحياة.

فإن قال الخادم أن الخدمة هى كل حياتى، فقد ترك الهدف.. وأخطأ التعبير.

عجيب!.. كيف؟.. يرد الرسول المختبر بولس: "**لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ**" (فى ١:٢١)، "for me to live is christ".. وليست لى الحياة هى الخدمة.

ما المعنى؟.. ومعناها، أنه حتى أحيا، ويكون لحياتى هدف، فإن هذا الهدف، هو المسيح.. ومعنى وجودى، هو المسيح.. وليس شيئاً آخر، ولو كانت الخدمة.. مع سموّها، وضرورتها.

وما يؤكد هذه الحقيقة، هو باقى العبارة: "**.... وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ**" (فى ١:٢١).

فإن كانت "لى الحياة هى **الخدمة**".. فإن الموت لايكون ربحاً.. لأنه حرمان من الخدمة.. وطفقنا فى هذه الحالة كـ "أبو العيال".. فى حالته النفسية، إبان فترة النقاهة.

وإن كانت "لى الحياة هى **الشباب**".. فإن الشيخوخة فقط – قبل الموت – لن تكون ربحاً.. وبالتالى الموت، لأنه حرمان من هذا الشباب.

وإن كانت لى الحياة هى **الوظيفة**.. فإن الإحالة للمعاش – قبل الموت – لن تكون ربحاً.. وبالتالى الموت، لأنه حرمان من هذه الوظيفة.

تهتم السيدات بجمالهن.. ولا غبار.. لكن إن قالت واحدة: "لى الحياة هى **الجمال**".. فماذا عن عوامل الزمن.. وما بعدها من موت.. وتحلل؟.. هل يكون هذا ربحاً.

أما إن كانت "**لى الحياة هى المسيح**"، **كان الموت ربحاً**..لأن لى المسيح، فى الحياة.. ولى المسيح، بعد الحياة.

لى الحياة هى المسيح.. إن كنت "بركاتاً"، فى المطافئ.. أو كنت عتريساً، فـى المباحث.. أو كنت "أباً للعيال"، فى الراحة.. أو كنت أى شئ.. فى أى وقت.. وفى أى مكان.. فيا للسعد.

****

هكذا الخادم أيها العزيز.. لا يعمل طول الوقت.. فهو ليس –فى خدمته– مصنعاً لإنتاج سـلعة ما، يعمل طوال ورديات ثلاث.. ولا مزرعة لتفريخ الدجاج وإنتاج البيـض، يـعمل طوال ٢٤ سـاعة.. ولا "فابريكة كازوزة"، لها مقطوعية يـومية.. بل يلزمه أوقات راحة.. ليست بمعنى الكسل أو التراخى، بل بالمعنى الذى قصده الرب فى قوله :"أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ **وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ** وَيَجِدُ مَرْعًى" (يو١٠: ٩).

فبعد أن يخلص الشخص، يصير شاهداً للرب.

إن خرج، فللعالم للخدمة، كجندى صالح ليسـوع المسـيح.. إن فى إدارة الـمطافئ – تشبيـهاً – أو فى إدارة المباحث.. أو غيـر ذلك من إدارات الوزارة السـماوية.. كما كتب الرسول عن هذا الخروج وأسبابه: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، **وَكَهَنُوتٌ مُلُـوكِيٌّ**، أُمَّةٌ مُقَدَّسَـةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، **لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ** الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ" (١بط٢: ١٠).. أى **للشهادة أو الخدمة**.

أمـا إن دخل.. فإلى أين؟.. إلى النقاهة تشبيهاً.. أى إلى الأقداس.. "**فَلْنَتَقَدَّمْ** بِثِقَةٍ إِلَـى عَرْشِ الـنِّعْمَةِ" (عب٤ :١٦).."إِذْ لَـنَا أَيُّـهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ **بِالـدُّخُولِ إِلَى** «الأَقْدَاسِ».... **لِنَتَقَدَّمْ**...." (عب١٠ :١٩، ٢٢).

وفى الأقداس، لا عمل، **بل مرعى**.. ولا خدمة، **بل شركة**.. ولا جهاد، بل **تعزية وامتلاء**.. يدخل الخادم إلى النبع لينهل.. ويربض فى المراعى ليشبع.

ونـــلاحظ أن كلمة **يدخل** ترد قبل كلمة **يخرج**.. فى ترتيب معكوس لحكاية "الشاويـــش"، فنقاهته كانت فى نهايـــة خدمته.. أما المؤمن فدخوله – فيــما يـــشبه النقاهة – إنما يأتى فى البداية.. أى قبل تأدية الخدمة.. وهى ليســـت نقاهة إجبارية – إلا فـــى حالات خاصة – لكنه **دخول** اختيارى للمؤمن.. لكى يمتلئ ثم **يخرج** إلى العالم، ممتلئاً، حتى يـــســـتطيــــع أن يقدم للنفوس مايرويها من مياه الكلمة الحية.. ومايـــشبعها من شخص المســـيح نفســـه وكفايته.. هذا الذى تمتع به المؤمن، وقت دخوله إلى الأقداس.

هذا عن الخدمة، ســـاعة الخروج.. والشركة، والعبادة، ســـاعة الدخول.. فماذا عن السجود(٥).

هو فى وقت الـــ**دخول** أيضاً، إذ **هو جزء من العبادة**.. فالدخول لا يقتصر فقط علـــى الـــشركة والشبع.. بل كما كتب الرســـول، أننا ندخل باعتبارنا "**كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ**" (ابط٢ :٥).. أى لتقديم السجود.

فالخروج إنما **ككهنوت ملوكى، للشهادة والخدمة**.. والدخول إنما **ككهنوت مقدس، للشركة والسجود والعبادة**.

وفى هذا يكتب خادم الرب الفاضل "**أدولف سفير**":

[إن الأربعين سنة التى قضاها موسى فى برية مديان كراعى غنم، تبدو مدة طويلة من **عدم النشاط والخمول** الذى بلا معنى له، ونحن نميل للتساؤل، ما الغرض من ضياع هذه السنين؟.. لكن لنعلم يقيناً أن الله يسهر على أيام وساعات شعبه المختار.. إن موسى يتعلم الآن فى وحشه مديان كيف يصلب

الذات، وكيف ينتظر الله فى هدوء، وكيف يسلِّم مشئيته وقوته الخاصة (يقصد مشيئة موسى وقوته).

إن عبيد الله كثيراً ما يُرسَلون إلى البرية (قبل خدمتهم). هكذا كان يوحنا المعمدان قبل أن يبدأ شهادة حياته القصيرة اللامعة. كذلك شاول الطرسوسى بعد تغييره، إذ ذهب إلى العربية.. بل ذلك ما حدث مع ربنا يسوع المسيح نفسه، الذى مع كونه البار القدوس الذى لم تخالط حياته قط ذرة واحدة من الخطية، قضى - قبل خدمته - ثلاثين سنة من السكون فى الناصرة.

هذا وبعد **أربعين سنة** (فى البرية) ظهر الرب لموسى (لإرساله للخدمة). كان قبلاً مستعداً ومسرعاً لاستلال السيف.. والآن عرف ضعف الإنسان وعجزه الشخصى التام عن القيام بالمهمة المكلف بها] (طعام وتعزية-٣ مارس ٢٠٠٥).

وذلك حتى يكون موسى مهيئاً لأن يستخدمه الرب، بعد أن فرَّغه.. لكى "يَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ" (٢كو٤ :٧) لا لموسى.. أو غير موسى.

تقول "رئيفة" لـ "بركات": وماله ياخويا.. على الأقل **تستريح** من الشغل.. عيالك عايزينك.. فيما يفيد الراحة.. والشركة العائلية مع أسرته.

هكذا بالنسبة للمؤمن، فهذه الفترة، هى **فترة راحة، وشركة مع الرب..** كما قال الرب: "تعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً" (من الإجهاد فى الخدمة) (مر٦:٣١).. بل **جلوس** تحت ظل شجرة التفاح (نش١ :٣) **للراحة**.. ودخول إلى بيت الخمر (نش٢ : ٤) **للشركة**.. كما هى أيضاً فترة **للسجود.**

لقد رأى أشعياء النبى السرافيم فى الهيكل.. "وَاقِفُونَ فَوْقَهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ. **بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ**" (إش٦:١، ٢).

إثنان فقط للطيـران.. وأربعة للخشوع فى حضرة السـيـد الجالس على الكرسى .. فيما يعنى أن الطيران للخدمة يُعطَى له المجهود الأقل.

كـما أن الإثنين المخصصين للطيران، يذكران بعد الأربعة.. فيما يعنى أن الطيران للخدمة، ليس له الأولوية على الخشوع والسجود.. وهو ما يؤكد كلام الرب فى (يو ١٠:٩)؛ **أن الدخول أولاً.. ثم الخروج ثانياً.**

فـمرحلة "أبو العيال" أولاً.. ولتأت بعدها - كيفما شاء لها الرب - مرحلة "بركات"، أو مرحلة "عتريس".

موكب النصرة

تعزَّى الرســول بولس، إذ لمعت أمامه حقيــقة "موكب النصرة".. فهتف: "ولَــكِنْ شُـكْراً لِـلـّـهِ الَّذِي يَـقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِــيحِ كُلَّ حِيــنٍ" (٢كو ١٢:١٤).

ما الحكايــة ؟.. يــكتب: "ولَكِنْ لَمَّا جِئْتُ إِلَى تَرُوَاسَ (فى زياته الثانية)، لأَجْلِ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ وَانْفَتَحَ لِي بَابٌ فِي الرَّبِّ، لَمْ تَكُنْ لِي رَاحَةٌ فِي رُوحِي، لأَنِّي لَمْ أَجِدْ تِيطُسَ أَخِي. لَكِنْ وَدَّعْتُهُمْ فَخَرَجْتُ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ." (٢كو ١٢:٢، ١٣).

فــهى ليست المرة الأولى التى يذهب فيها إلى ترواس.. ففى المرة الأولى، انحدر إليــها مع تيــموثاوس.. لكن لم يخدم فيها.. لماذا؟.. لقد ظهرت له "رُؤْيَا فِي الــلَّيْـلِ: رَجُلٌ مَكِدُونِيٌّ قَائِمٌ يَـطْلُبُ إِلَيْـهِ وَيَـقُولُ: اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّــةَ وَأَعِنَّا!" (أع١٦:٨، ٩).. فتحققوا أن الرب دعاهم.. فســافروا إليــها.. تاركين ترواس.. إذ **اقتنعوا** – بسبب الرؤيا – أن الباب المفتوح، هو فى **مكدونية**، وليس فى ترواس.

ومن قبــل، انفتح لــه "بَــابٌ عَظِيــمٌ فَعَّالٌ"، فى **أفســس**.. فمكث معهم (١كو ١٦:٨، ٩).

بابان مفتوحان فى مكدونية، وفى أفسس (الشاهدان السابقان).

لســت الوحيد أيها "الشاويش بركات" الذى تُفتح أمامك السُّــبل.. فها هو رسولنا المغبوط، تنفتح له الأبواب، مرتين، مرة فى مكدونية، والأخرى فى أفسس.. ولا وجه للمقارنة بين أبواب روحية للخدمة.. وبين إشارات مرور للسكَّة.

لكن ماذا عن "ترواس".. التى تركها الرســول من أجل مكدونية.. لقد عاد إلــيها الآن وكله عشم أن يجد فيها باباً ثالثاً مفتوحاً.. وقد كان.. إذ انفتح له "بَابٌ فِي الرَّبِّ" (٢كو٢:١٢).

ها هى فرصتك التى انتظرتها فى زيارتك الأولى، أيها الرســول المبجّل، وحرمَتْك منها الرؤيا التى أطعتها.. فســافرت إلى مكدونية.. ها هى الآن قد أتيحت لك.. وانفتح لك باب فى الرب.

ماذا فعل؟.. ترك ترواس (رغم الــباب المفتوح والمرتَجَى).. وذهب إلى مكدونية مرة ثانية.. عجيب!!.. لماذا ؟.. يقول: "لَمْ تَكُنْ لِي رَاحَةٌ فِي رُوحِي، لأَنِّي لَمْ أَجِدْ تِيطُسَ أَخِي" (٢كو٢:١٣)

كــان ينتظر أن يرى تيطس.. لا لإشباع أشواق إنسانية - وإن كان - بل لأن تطيــس، بــالــدرجة الأولــى، كان قادماً من كورنثوس ومعه أخبار عن أهل كورنثوس.. وكان بولس قد سبق أن أحزن أهل كورنثوس، فى رسالته الأولى لهم.. بــسبب خطية معروفة (١كو٥ :١ & ٢كو ٢: ١-٥).. وكان يريد أن يطمئن عليهم، من **ناحية**، بعد أن أحزنهم.. وعلى نتيجة رســالته الثانية لهم، من **الناحية الثانية**.. وعــلى أنهم لم يستعملوا القسوة المفرطة، مع الأخ المخطئ (٢كو٢ : ٧)، كرد فعل لرســالته الأولى القوية (١كو٥:٥)، من **الناحية الثالثة**.. هذه ضمن خدمة الرعاية التى كان يتمتع بها رسولنا الموهوب.

فكان بين اختيارين.. كلاهما هام.. إما أن يؤدى دور **المبشر** فى ترواس، والباب مفتوح أمامه.. وإما أن يؤدى دور **الراعى**، فيترك الباب المفتوح، ساعياً إلى معرفة أخبار رعيــته (أم ٢٧:٢٣)، راحلاً الى **مكدونية**.. ليقابل فيها تيطس، القادم بالأخبار، من كورنثوس.

فضَّل الاختيـــار الثانى.. وغلَّب مشاعره الرعوية.. التى كتب عنها: "مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟ " (٢كو ١١: ٢٩).

لا أحد يقدر أن يلوم الرســـول على هذا.. ربما يكون الرسول هو من لام نفســه.. لكن إذ سطعت أمامه الحقيقة المعزية: أنه فى "**موكب الـــنصرة**".. فى كل حين.. **فى** ترواس، حيث الباب المفتوح، أو فى **مكدونية**، حيث سيقابل تيطس ومعه أخبار الإخوة.. **مســتثمراً الـــباب المفتوح، أم مغلباً مشاعره الرعويـــة.. هو فى "موكب النصرة" فى كل الأحوال.. حتى لو لام نفسه.. أو لامه أحد.**

ولموكب النصرة حكايـــة تاريخية: كان هناك اســتعراض عســكرى فى شوارع روما.. يـــمر فيه القائد المنتصر.. وخلفه ضباطه، وجنوده، والعاملون فى الخدمات المساعدة، كتجيهز المهمات، وتدبير التموين.. إلخ.

وكان الموكب يــشمل الجميـــع.. من حارب فى المواجهة، ومن كان فى المؤخرة بعيـــداً عن مرمى الســـهام.. من اســتخدم ســيفه، ومن تقهقر عن نصال الســيـــوف.. من أبلى حســناً، ومن ضعف أو خاف.. من عاد صحيحاً، ومن عاد جريحاً.. من جهز العتاد والتموين، ومن جلس فى حراسة الأمتعة.

فالــنصر لـــلـقائد.. والـــكل خلفه فى "**موكب النصرة**".. حارب، أم، لم يحارب.. تقدم، أم تقهقر.. خاف، أم اســتبسل.. عسكرياً كان، أم مدنياً.. الكل خلف القائد.. رغم اختلاف أدوارهم.. وتباين مجهوداتهم.

ويريد الرسول بولس أن يقول عن نفسه، أنه إن خدم **كالمبشر** فى ترواس، فهو فى "**موكب الـــنصرة**".. وإن ســعى **كالراعى** الى مكدونيـــة، فهو فى "**موكب النصرة**".. إن غلَّب الواجب، فهو فى "**موكب النصرة**"، وإن غلَّب المشاعر فهو فى "**موكب النصرة**".. هو فى "**موكب النصرة**" فى كل حيـــن، وكل مكان.. لماذا ؟.. لأنه فى **المسيح**. (٢كو٢ :١٤).

نـصرة من ؟.. ليس انتصار المؤمن فى معاركه الروحية[٦].. فليس الكلام هنا عن معركة روحيـــة يخوضها المؤمن، لينتصر.. كلا.. بل عن موكب يســير فيـــه.. بعد **معركة انتهت.. وتم الانتصار فيها.. إنها معركة الصليب**.. وقد انتصر فيـها الـقائد؛ **يـســوع المسـيـح**.. وهزم **إبليـس** (عب٢: ١٤).. وقهر **الموت** (٢تـى١: ١٠).. وأبطل **الخطية** (عب٩: ٢٦).. وقام منتصراً، وقائداً لجيوش تابعيه.. فى استعراض روحى مجيد.. إلى المجد السعيد.

وكل المؤمنيـن والخادميـن، قويـُّـهم، وضعيفهم.. وقت خدمتهم، ووقت راحتهم.. فى إدارة الـمطافئ، أم الـمباحث، أم الــنقاهة - تشبيـهاً - "بركاتهم"، و"عتريســهم"، و"أبو عياله"، منهم.. هم فى موكب النصرة، كل حين فى المســيح (٢كو٢: ٢٤).. وهذا ما عزّى الرســول.. ويعزينا.. ويعزى جميع المؤمنين فى كل الأجيال.. **فشكراً لله الذى يقودنا هكذا، فى كل حين.**

رائحة المسيح

بعدما استعار الرسول بولس "موكب النصرة" كتشبيه، استعار تشبيهاً ثانياً، هو "رائحة المسيح" (٢كو٢:١٥)، ألحقه بالأول.. والإثنان من الدولة الرومانية.

فبعدما كان القائد الرومانى يمر - فى "موكب النصرة" - وخلفه كافة رتب وأفراد وعمال جيشه، كان الأسرى يمرون خلف الجميع.

والأسرى نوعان.. نوع تحتاجه الإمبراطورية، ليخدموا فيها كعبيد.. ونوع زائد لا احتياج لخدمته، بل لوجوده أساساً.. فكانوا يُقتلون.

وقد فعل داود مثل هذا من قبل.. فبعدما انتصر على الموآبيين، فى إحدى معاركه، رأى أن أسرى هذه المعركة، أكثر من احتياج المملكة.. كان يحتاج فقط الى ثلث عددهم.. ماذا فعل؟

"أضْجَعَهُمْ عَلَى الأَرْضِ، فَقَاسَ بِحَبْلَيْنِ لِلْقَتْلِ وَبِحَبْلٍ لِلاسْتِحْيَاءِ" (٢صم٨:٢)[٧].. وكان مصير كل فريق منهم مرهون بالحبل.. تحت أى حبل سيقع؟[٨].

كذلك كان الرومان - بطريقة ما - يختارون من سيستحيونه، ومن سيقتلونه.

وإن كان القاضى ينطق بحكمه فى قاعة المحكمة.. فإن النطق بإعدام هؤلاء الأسرى، كان يعلن فى ساحة الـ "إمفى ثياتيرو" (الأستاد).

لم يـــكن الحكم ينطق شفاها.. ولا إعلان تنفيذه يتم بدق ناقوس مثلاً.. بل كان يتم بإطلاق بخور (عطر).

فما أن يطلق البخور فى الســـاحة، حتى يعلم الجميع، أن الساعة قد أتت.. وأن هذا البخور، هو إيذان بإماته فريق.. وبالتالى، إحياء فريق آخر.

فكان ذات البخور الواحد.. هو رائحة موت، لإماتة هؤلاء.. ورائحة حياة، لإحياء أولئك.

هكذا المؤمن كخادم – فى خدمته – أو كشاهد – فى حيـــاته – هو"**رَائِحَةُ الْمَسِـــيحِ الذَّكِيَّةِ** للَّهِ، فِي الَّذِينَ **يَخْلُصُونَ** وَفِي الَّذِينَ **يَهْلِكُونَ**. لِهَؤُلاَءِ رَائِحَةُ **مَوْتٍ لِمَوْتٍ**، وَلأُولَئِكَ رَائِحَةُ **حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ**" (٢كو٢ : ١٥ ، ١٦).

فمع أنها رائحة ذكية واحدة، لكنها تضرب فى اتجاهين.

هكذا ، فكرازة الخادم المقبولة – كخدمة "**الشاويـــش بركات**" – إنما هى، لفريق، يشتمُّونَها كرائحة حياة لحياة.

وكرازته المرفوضة – كخدمة **بائع الذرة "عتريـــس"** – إنما هى، لفريق آخر، كرائحة موت لموت.

وفى كل الأحوال **شكراً لله**:

أولاً: لأننا فى "**موكب النصرة**" **كل حين**.. أيا كان دورنا – كجنود ليسوع المســـيح – **قوياً، أم ضعيفاً**.. فى كل مكان، فى **ترواس، أم فى مكدونية**.. فى كل حال، فى **جهاد، أم فى فتور**.. نحن فى موكب الـــنصرة **كل حيـــن**.. لأننا خلـــف **المنتصر** يسوع المسيح.

ثانياً: لأننا رائحة المسيح الذكية – أيضاً – **كل حين**.. فى الذين يخلصون

وفى الذين **يهلكون**.. أياً كان موقعنا الرمزى - أيضاً كجنود ليســوع المسيح - فى إدارة الــــمطافئ - تشبيــهاً - أم فى إدارة المباحث .. ك "الشاويــش بركات".. أم ك "عتريس".. أم فى النقاهة ك "أبو العيال".

أليس مدهشاً أن رائحة المســـيح الذكية تفيح من "عتريس"!!.. تماماً مثلما تفيح من "بركات".

لذلك مرة أخرى.. شكرا لله

لأن الكل هو منه

وموقوف عليه

****

ملاحـــــق

ملحق١ : واصب = دائم.. وعذاب واصب = عذاب دائم (المعجم الوسيط)

ملحق٢ : يذكر لنا العهد الجديد أربعة "قواد مئة" يخافون الله

١- قائد المئة الذى شفى المسيح غلامه (مت٨:٨).

٢- قائد المئة الذى كان واقفاً عند صليب المسيح (لو٢٣:٤٧).

٣- "كرنيليوس" التقى الخائف الله (أع١٠:٢)

٤- "يوليوس" الذى عامل بولس معاملة طيبة (أع٢٧:٣).

ملحق٣ : **الـشكل والموضوع**، يتكرران فى سفر الرؤيا.. إذ نقرأ "وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوباً فِي سِـفْرِ الْحَيَـاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ" (رؤ٢٠:١٥).. لا يوجد موضوع هنا.. بل مجرد عدم إدراج الاســم فى سفر الحياة، وهذا بسبب القساوة.. وهذا هو **الشق الشكلى** فى القضية.

لكننا نقرأ أيضاً.. "وَانْفَتَحَتْ أَسْـفَارٌ. وَانْفَتَحَ سِــفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِيــنَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْــفَارِ بِـحَسَــبِ أَعْمَالِـهِمْ" (رؤ٢٠:١٢).. هنا نرى الــ**موضوع**، وهو أعمالـــهم.. وهذا هو **الشق الموضوعى** فى القضية.

أما المكتوبون فى سفر الحياة، فقد ســقط الشق الشكلى فى قضيتهم.. وبالتالى لايـجوز، بل ولا يـمكن مناقشة قضيـــة أعمالهم وخطاياهم.. فالقضيـــة مرفوضة، شكلاً.. وبالتالى لا تقبل من الأســاس، موضوعاً.. انتهى.. كيف؟

أيـــن إذاً موضوع خطايـــاهم؟.. لقد غفرت خطاياهم.. بموت المســـيح، " الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا" (رو٤:٢٥).. فلا ذكر لها (أر٣١:٣٤).

ملحق٤ : لــم نتطرق هنا إلى أنواع المواهب والخدم المختلفة.. بل كلامنا ينحصر فى هذا الكتيـب، على النجاح فى توصيـل الخدمة.. أيـــا كان نوعها.. تـــبشيراً.. أم تعليماً.. أم وعظاً.. أم رعاية.. أو على الفشل الظاهرى فى ذلك.. فيما يسبب إحباطاً، فى بعض الأحيان، لبعض الخدام.

ملحق٥ : الســجود (وهو معنوى)، غيـــر الشكر.. فالشكر هو **على العطايا**.. أما الســـجود فهو الشكر لله على **ماهو عليه فى ذاته**.. والفرق بينهما ظاهر بـكل وضوح فى (مز١٠٣:١،٢).. إذ يقول المرنم **أولاً**: "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَكُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُـبَارِكِ **اسْمَهُ الْقُدُّوسَ**"، (هذا هو الســـجود بالنظر الى **ماهو عليه الله فى ذاته**).. ثم **ثانياً**: "بَارِكِي يَا نَفْســـي الرَّبَّ وَلاَ تَنْسَيْ **كُلَّ حَسَنَاتِهِ**.... إلخ"، (وهذا هو الشكر من أجل **كل الحسنات**).

ملحق٦ : راجع "أربع معارك".. فى العد الخامس من هذه الســـلسلة بعنوان "أرى الدم".

ملحق٧ : كان الحبل يـــستعمل أيـضا، وقتها، فى قيـــاس الأراضى وتقســيمها (مز٧٨:٥٥).

ملحق٨ : فى (مزمور١٦:٥،٦) يشبه داود نفســـه بمن جاءت قرعتهم تحت حبل الـــحياة.. بعد أن كان كواحد من البشر، المستحقين جميعهم للموت بسبب الخطية.. لماذا جاء تحت حبل الحياة؟.. لأن الممســـك بحبل القياس هو الله، الـــذى كان داود كل اتكاله عليـــه (ع١) .. فكتب مخاطباً الله "أَنْتَ قَابِضُ قُرْعَتِي" (أى الممســـك بحبل القرعة.. لذلك) "حِبَالٌ وَقَعَتْ لِي فِي النُّعَمَاءِ فَالْمِيرَاثُ حَسَنٌ عِنْدِي".

فى هذا العدد

- الخدمة غير المثمرة
- اليأس المصاحب لها
- تشجيعات "رئيفة" لـ "بركات"
- السائرون فى موكب النصرة
- هل رائحة الحياة
هى نفسـها رائحة المـوت ؟

العدد القادم

بمشيئة الرب

حتميات لاهوتية ج ٢

تحت الطبع

- حتميات لاهوتية ج ٢
- ملاكى أورشليم
- المشى على الماء

وأعداد أخرى

تطلب هذه السلسلة

من المكتبات المسيحية